

استفسر المفتش من فلاح كان يحمل محراثه إلى نجار أسفل الشارع عن المدرسة وأعتقد أنها خارج القرية. وأشار بأصبع مشفقة طالاها الغبار إلى الطريق الطالع من القرية كانت الشوارع مليئة بالمطبات والطين، وتسرب إليها كثير من المياه النازحة من البيوت الطينية. فيما انشحت أخرى سلمت من الماء - بالغبار - وانتهت تلك الشوارع فجأة حيث بدأت الحقول، فما كان من المفتش إلا أن سار عبر درب رطب بين حقلين، وعلى بعد بصر بسائق دراجة متجها ناحيته و ما إن اقترب منه حتى توقف سائق الدراجة، و نزل عنها قبل أن يقف باحترام له؛ - المدرسة ؟ قال الدراج - مشيرا إلى شجرة بعيدة . وأعلن على الفور موافقته، و شعر بالفخار يكلل هامته تارة أخرى، إذ تخيل ثقة و مدير المدرسة و طلابها أو أي عابر قروي ينظرون إليه و هو بصحبة ذلك الباشا شأنه لاشك سيعلو في قريته الغافية و أحس لذلك بشيء من العجب و التيه انفتح لهما صدره و سارا سويا انه رجل رائع يا سيدي ، لم يجب مفتش المدارس، لقد أضحت عملية البحث عن المدارس عبر القطاعات استنزافا لصبره و جلده و في المدن القذرة و الأقاليم النائية و المراكز المثقلة بالدخان و الغبار و. في القرى النائية حيث الطرقات ضيقة لا يمكن لسيارته الجيب ان تسير عبرها و الوضع الكئيب لذلك كله كم يبعث الحزن في النفوس كان عليه ان يعتاد ذلك عبر سنوات عمله الثلاث لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فكل مدرسة كانت منبع وجه محض نقص المؤمن لامبالاة الناس تسبب الطلبة وعتو المعلمين كان ذاك كثيرا جدا ثم ماالذي بوسعه ان يعمل توصيات و توصيات ترفضها إدارة التخطيط و التنمية تلك التي تخطط قليلا و تطور اقل من القليل و مر بحقول محروته و أخرى فد اخضلت بخضرة القمح البكر و تجمعت المياه فيه فركدت فيما كانت الحشرات تطير فوقه او تحزف على سطحه و عندما دنيا منها ارتفعت فجأة و قد علا طينيتها وروح مفتش المدارس على وجهه طاردا إياها فيما كان الفلاح يسير دافعا دراجته بخطوات واسعة رشيقة وأجراسها تهتك استار السكون ووجد المفتش صعوبة في السير بمحاذاته و مرا بحقل ذرة في أكواضا لما تزل و خلف الحقل سمقت شجر الشيشام كانت شجرة ظليلة على حافة حقل حرث منتظرا طور نثر البذور إلا ان احدا لم يكن هناك و استاء الريفي قد كانت المدرسة هنا أنا متأكد من ذلك قبل الحرث الأرض على اقل تقدير ثم لا بد و أنها انتقلت الى موقع آخر ولكن المبنى المبنى اليس هناك مبنى كلا سيدي لا مبنى هناك البتة ان المعلم ينقلها مع واني ذهب ارتحلت معه و ابصر الريفي فلاحا يحمل مجرفة على بعد حقول عدة بعد ان اعيتهما الحيلة هيه أنت صاح فيه وتوقف الجسد المحني عن الجرف قبل ان يعتدل كانت الشمس ساقطه في عينيه فظللها بيديه و نظر اليهما أين المدرسة يا صاح هنا أستاذ من المدينة ليراها مدرسة ان الأولاد بجانب حقل القصب لقد رايتهم على ما اظنه متجهين اليه هذا الصباح صاح الفلاح مجيبا الأخرى كانت هناك حقول عديدة قد حرثت و ان بذارها و نظرا حولهما لم يكن هناك احد لقد ذكر حق القصب قال الريفي في دهشه اجل قال المفتش بات الأمر مملا ربما كانت في الناحية الأخرى اسمع اذهب أنت و تحر عن ذلك و عندما تجد مدرسة اخبرني قال المفتش المدارس ما سحا حاجبه و طرح الريفي دراجته جانبا و انطلق يبحث عن مدرسة مفقوده. اما مفتشه مدرسه فقد جلس محيلا بصره في الارض السمراء والمحصول المائل امامه في الاخضرار الممتد امام الناظر به باهيا زاهيا وقد تفاوتت الدراجته وظلاله حتى اذا ما لامس طرف السماء كان في اوهاها ولم تكن ثمة غيمة في السماء نفعت بضع بومات في اشجار بعيدة وحلقت بعض الحدأ عاليا في كسل فيما عبرت فوقه عصافير جذلى مترنمه. وسمع فجاه صياحا عاليا ولما التفت حوله ابصر الريفي يعدو في اتجاهه وهو يوميء له و نهض مفتش المدارس فأحس تشنجا في عضلاته لقد كان بلا لياقه وهو يعرف ذلك جيدا وراح يلوم نفسه لا بد وان يفعل شيئا فيما يختص بذلك انه يجلس في مكتبه ويجلس في سيارته الجيب ثم ينهي ذلك في سياق الطويل من الجلوس بالجلوس في الكرسي الوحيد في المدارس التي يزورها. لقد وجدتها قال الريفي الطيب باسم متهللا وهو يتقدمه كي يريه ضالته. على ان مفتش المدارس تردد لوهله. قد يتعرض للسرقه في ذلك الحقل الكثيف ولا شاهده هناك و أخذ طريقه بعد لاي ورؤوس القصب الخضر تجرح يديه ووجهه وثنى ذراعيه فوق راسه لكن تعثر مرات عدة لصلابه الارض تحته. وتبع السوق. المهتره المفعمه بالضجيج حتى وصل الى وسط الحقل وهناك وفي بقعه قصت اعواد القصب فيها فبدت ملساء جلسه 40 طالبا القرفصاء على الارض الجرداء لم يكن تحتهم بساط يقيمهم صلابه الارض كان الهدوء يلفهم بردا يبعث راحه في النفوس بدا ذلك جليا للمفتش المدارس الذي قارن ذلك بصخب عيدان القصب ابان توجه اليهم واهتزت الرؤوس جماعيا في محاوله لحفظ جداول الضرب فيما انحى قسم منهم على الواهم يستذكرون ما دون فيها ووضع تحت الألواح تحت الشمس كيما يجف مداها الرطب وجلس مسن يحمل عصي على الكرسي مهلهل متداع واهن رمم مرات عدة ودعمت أطرافه بشرائح حديدية ثبتت فيه بمسامير اما ظهر الكرسي. فقد ثبت بالواح ركبت على اطاره الاصلي و نهض معلم الصبيان فجاه وقدمه تبحت عن فرده حذاءه ووقف صاح مرشد امرا بالانجليزيه. وهب التلاميذ وقوفا ماسحين ما علق بظهورهم من الغبار واستغرق المعلم بعض الوقت كيما يتمالك نفسه